

العلاقات العباسية البيزنطية
فى عهد المعتصم بالله العباسى ٢١٨ - ٢٢٧ هـ

د. علي محمد البتانوني
مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

مقدمة :

بدأ اهتمام المسلمين بالبحر المتوسط منذ ولاية معاوية بن أبى سفيان لبلاد الشام عام ٢٨ هـ إذ عرف أن البيزنطيين أعداء المسلمين يعملون فى دأب على استرداد ما استولى عليه المسلمون من شواطئ هذا البحر ، ثم كانت جهود الدولة الأموية لإنشاء بحرية إسلامية ساعدتها على الاستيلاء على الجزر البيزنطية التى تهدد أرض المسلمين والإحاطة بقوة البيزنطيين البحرية فى موقعة « ذات الصوارى » التى انقلب المسلمون بعدها إلى سياسة التوسع البحرى ، كانت آية هذا التطور حملات المسلمين على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، إذ أدرك الأمويون أن تدعيم قوة المسلمين البحرية يتطلب كسر شوكة هذه العاصمة التى تقف لمشاريعهم البحرية بالمرصاد ، ثم كانت الحملات الأموية للاستيلاء على الشمال الأفريقى البيزنطى وباستيلائهم عليه خرج البيزنطيون من آخر معاقلهم فى الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط .

على أن هذا الاهتمام المتزايد بالبحر المتوسط وتقوية الأمويين لبلادهم المطلة عليه أدى إلى ترك القسم الشرقى من دولتهم ملجأ للعناصر المعادية لهم فاضطربت العراق وفارس بالحركات المناهضة للبيت الأموى واستطاعت أن تطيح فى النهاية بالدولة الأموية وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، وقد تحكمت فى العلاقات العباسية البيزنطية عدة عوامل :

● وضع الدولة العباسية ابان العصر العباسى الأول ما بين سنتى ١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ وذلك الوضع الجغرافى الاستراتيجى الذى منحها موقعا متميزا فريدا جعلها فى موقع متوسط من كثير من الدول والأقاليم وعلى صلة مباشرة بها كلها عن طريق البر أو البحر ، علاوة على أن هذا الموقع الجغرافى قد لعب دورا كبيرا فى تحديد الملامح

العامة للعلاقات الخارجية للدولة العباسية مع كثير من الدول ، لما كان للموقع الجغرافى نفسه دور فى تغيير السياسة الخارجية للدولة العباسية وصبغها بالصبغة الدينية ، ولم يلتزم العباسيون فى تعاملهم مع غيرهم من الدول سياسة واحدة لم تتغير ، وإنما كانوا يغيرون من سياستهم كلما اقتضت الظروف ذلك أو كما تمليه عليهم المصلحة العليا للدولة الإسلامية فكانوا يستخدمون الوسائل الدبلوماسية من سفراء ومكاتبات ووفود فإذا فشلت هذه الوسائل أو أخفقت فى تحقيق الهدف منها لجأوا إلى فرض نفوذهم بالقوة العسكرية .

● « العباسيون فى حروبهم وفتوحاتهم التى تمت عن طريق القوة العسكرية وفى توقيعهم لاتفاقيات الهدنة بينهم وبين غيرهم من الدول كانوا يلتزمون أثناء ذلك بأوامر الدين وتعليماته فى هذا الشأن ، وقد نظرت الخلافة العباسية إلى البحر المتوسط على أنه منطقة الحدود التى يجب يقفوا عندها فى مجالات النشاط التجارى والعسكرى والسياسى ، واهتموا بالسيادة على البر تاركين السيادة على البحر للروم ، وأصبحت شواطئ الشام ومصر بالنسبة إلى بغداد نهايات وحدودا ينبغى حمايتها لا ثغورا وأبوابا للإنطلاق منها إلى ما وراء البحر والسيادة على مائه وتسخيره للتجارة والسياسة الإسلامية ، ولكن ليس يعنى هذا أن العباسيين لم يكن لهم وجود فى سواحل الشام ومصر ، بل قام الأسطول العباسى بمنازلة الأسطول البيزنطى ، ولم يكن هناك تعاون بين العمليات البرية والبحرية إلا قليلا [1] ... وهذه السياسة أدت إلى تجميد حدود الدولة فى العصر العباسى الأول بالوضع الذى كانت عليه أواخر العصر الأموى إلا قليلا .

---

(١) د / محمد حلمى - الخلافة والدولة فى العصر العباسى الأول ص ٢٠ ط القاهرة ١٩٨٣ .

● اقتصر النشاط الحربى زمن العباسيين فى العصر العباسى الأول عند حدود الدولة مع امبراطورية الروم على ما عرف بالصوائف والشواتى ، وهذه الغارات المحلية تركز معظمها فى منطقة آسيا الصغرى ، ثم لم تلبث هذه الحروب المحلية أن وقعت على كاهل المتطوعين من المجاهدين المرابطين الذين حبسوا أنفسهم فى مناطق الثغور والعواصم على الجهاد فى سبيل الله وعلى التفرغ للدراسة والتعليم فى القلاع والحصون وكانت الظروف الداخلية للدولتين العباسية والبيزنطية متشابهة مما ظهر جليا فى السياسة الخارجية لكلتا الدولتين ، فقد كان عند البيزنطيين من المشاغل والمشاكل الداخلية ما يستحوذ على كل أوقاتهم وجهودهم ومواردهم ويجعلهم لا يفكرون على الإطلاق فى القيام بأى عمل عسكرى سواء ضد العباسيين أو ضد غيرهم . بل قبعوا داخل حدودهم يعملون على إيجاد الحلول لمشاكلهم .

● وفى الوقت ذاته كان العباسيون مشغولين بالعديد من المشاغل والمشاكل الداخلية التى واجهتهم عند تأسيس دولتهم وتدعيم سلطانهم ، لذلك كانت المصادمات الحربية بين العباسيين والبيزنطيين على منطقة الحدود بينهما محدودة ومعلومة دون أن تتطور إلى مشروعات حربية كبرى مثل مشروعات الخلافة الأموية حيث حرص العباسيون والبيزنطيون على تحصين مناطق الحدود بينها للحد من نشاط الغارات .

● عمد العباسيون والبيزنطيون على الاستفادة من الأحوال الداخلية التى تطرأ على الأمور فى كل من دوليتهما ، والانطلاق نحو تحقيق أهدافهم ومطامعهم الخارجية ، وتجلى ذلك حين ظهرت بعض الحركات السياسية والدينية المتطرفة فى الدولة العباسية ، ومنها حركة بابك الخرمى الذى اتخذ الإقليم الجبلى بين أذر بيجان والديلم المتاخم لثغور الجزيرة بين العباسيين والبيزنطيين مسرحا لها . وقد تجددت الحروب بين هذين الطرفين فى أواخر عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) وذلك حين طلب بابك الخرمى المساعدات من الأمبراطور البيزنطى تيوفيل ، إذ ما كاد هذا الأمبراطور يعتلى العرش حتى اجتاز عدد من ثوار الخرمية الحدود إلى بلاد الروم وبعد أن قتل إسحق بن إبراهيم خليفة المأمون فى بغداد ستين ألف فارس فى همذان وعرضوا

خدماتهم على الجيش البيزنطى ، وقد تم هذا بمعونة ضابط من أصل فارسى أحضر للقسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية .

كان على العباسيين أن يواجهوا هذه الفتنة ، وذلك التحالف وبلغ من خطورتهما أن الخليفة المأمون بعث إلى قائده عبد الله بن طاهر يخيره بين خراسان والجبال ، وأرمنية واذر بيجان ، ومحاربة بابك ، فاختار خراسان ، وعقد المعتصم سنة ٢٢٠ هـ للأفشين - قائده التركى - على الجبال ووجه الحرب بابك كما وجه أبا سعيد محمد يوسف إلى أرد بيل (*) ليوفر الاحتياجات ويتم الاستعدادات الحربية اللازمة للقتال .

وهكذا بان من الواضح أن كلا من العباسيين والبيزنطيين كان يسعى ويعمل لإضعاف خصمه وذلك بتقوية الثغرات الناشئة فى أرض العدو وفضلا عن ذلك فقد وجد لدى العباسيين والروم أناس من الطرف الآخر جواسيس يدلونهم على ثغرات دفاعات العدو ومواطن ضعفه .

كذلك تجب الإشارة إلى أن ضعف السلطة المركزية فى بغداد نتيجة للفتنة والحروب التى تخللت عصر الأمويين وأوائل عصر المأمون ، قد انتقلت عدواها إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى ، كما شجعت بعض الولاة على التهاون بمصالح الناس وإرهاقهم بكثرة الضرائب والأعباء المالية المختلفة ، ولا شك أن مثل هذه الفتن والحروب التى شملت معظم أرجاء الدولة العباسية تؤثر تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على خط سير السياسة الخارجية للدولة العباسية فى عصرها الأول .

هكذا كان للسياسة الداخلية للدولة العباسية فى العصر العباسى الأول تأثيرها بشكل أو بأخر على السياسة الخارجية للدولة ووجهتها وجهات معينة حسبما كانت تقتضى الظروف ، كما كانت تتطلب حالات معينة وأمورا خاصة كانت تعيشها الدولة وتمر بها . والبحث يتناول فترة من أهم فترات العلاقات بين الدولة العباسية والبيزنطية فترة خلافة المعتصم ، وهذه الفترة دارت خلالها أهم المعارك والتى كان لها من الآثار على كلتا الدولتين فى آن واحد .

(*) أرد بيل من أشهر مدن أذر بيجان ياقوت - معجم البلدان - ح ١٤٥/١/ - بيروت ١٩٨٣ م .

أولاً: أثر تأمين الحدود العباسية فى العلاقات العباسية البيزنطية على عهد المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧ هـ)

تمثل سياسة العباسين فى تأمين حدود دولتهم مع الدول المجاورة عنصرا هاما من العناصر ذات الارتباط الوثيق بالعلاقات العباسية البيزنطية ، وذلك بالرغم من أن تأمين الحدود إعتمد على القوة لا على العلاقات الدبلوماسية والرسل والوفود .

وترجع نشأة هذه السياسة العباسية فى تأمين الحدود وارتباطها بالعلاقات الخارجية إلى مطالع العصر العباسى الأول ذلك أن الواجب الاول للقوات العسكرية اتجه الى حماية الدولة وتأمين شخص الخليفة وآل بيته ، واتضح ذلك حين انتقلت مسئولية حماية الحدود والقيام بالجهاد إلى أجناس الجند المقيمين فيها سواء كانوا عربا مقيدين فى الديوان يمارسون الحرب على أنها حرفة ومعاش أم غير عرب مرتزقة ممن كانوا يشترون أو يؤمرون ويخصصون لهذا الغرض ، والحرب عند كلا الفريقين لم تكن جهادا أو واجباً دينيا بقدر ما كانت عملا يمارسه صاحبه لأنه وظيفته ومصدر رزقه .

وقد شرح البلاذرى هذا التطور فى سياسة العباسيين تجاه الحدود قائلا (كان الأمويون يغزون الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما على ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو ، وترتب الحفظة على السواحل ويكون الإغفال والتفريط خلال الحزم والتيقظ . فلما ولى المنصور العباسى تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها ، وبين ما احتاج إلى البناء منها ، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور ثم لما استخلف المهدى استتم ما كان بقى من المدن والحصون وزاد فى شحنها)[1] .

فمن الواضح أن البلاذرى يشير إلى أن أبى جعفر المنصور - هو الذى وضع أساس النظام الثغرى الذى وصل إلى حد الكمال زمن المعتصم ، فكان المعتصم يقسم المرابطين إلى جماعات ، تتألف من عشرة من المقاتلين إلى خمسة عشر ويبنى لهم البيوت

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان ص ١٩١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان جـ / ٣ / ٧٩ دار بيروت ١٩٨٣ .

والاسطبلات ، ويبنى لهم حصنا على بعد ثلاثين ميلا من دار إقامتهم ، وحشد فى ملطية (الخرائط) عشرة آلاف مقاتل .

وزاد عطاء المقاتل إلى عشرة دنانير ، وخصص له معرفة قدرها مائة دينار ودبر السلاح وأقطع المزارع فوضع حدا لمطامع قسطنطنيه . (١)

ويمكن القول أن حروب العباسيين ضد الروم قد بلغت ذروتها فى الفترة ما بين خلافة المهدى والمعتصم ، والمهدى هو الذى وضع لجهة الروم ذلك التقليد السنوى فى الغزو - الصوائف والشواتى وفى الحملات الدورية الوقائية وقد ساعده على اتباع ذلك حالة الاستقرار التى كانت عليها الدولة فى عهده غير أنه أول من اتبع خطة التوفيق والتوازن ما بين تصعيد الحرب مع الروم إلى الدرجة القصوى والمحافظة فى الوقت نفسه على المواقع والحدود فلا يترتب على الغزوات احتلال مواقع جديدة أو عمليات تؤدى إلى تطويق العاصمة أو الغاء الوجود البيزنطى . (٢)

وكان إقليم الثغور ينقسم إلى قسمين :

احدهما فى الشمال الشرقى ويسمى بالثغور الجزرية (تشير إلى أرض الجزيرة شمال العراق) ومن حصونها الهامة وبطرة حصن المنصور ، والحَدَث ، والقسم الآخر يسمى بالثغور الشاميةَ ويقع فى الجنوب الغربى حيث يقترب من ساحل خليج الاسكندرونه ومن أهم حصون هذا القسم المصصيه وأذنه وطرسوس . (٣)

وكان الحد الفاصل بين الامبراطورية البزنطية والدولة العباسية جبال طوروس - ويمتد خط الثغور من ملطية إلى طرسوس قرب البحر المتوسط .

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان ص ١٩١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٩ .

(٢) الطبرى - تاريخ الطبرى ج / ٨ فترة خلافة المهدى دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

(٣) العدوى - الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ص ٧١ - ٧٢ ط الثانية / ١٩٦٣ .

وفى عام ١٧٠هـ عزلت الدولة العباسية الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين وجعلتها واحدا باسم العواصم ، لأن الجند العباسيين كانوا يعتصمون بها إذا عادوا من محاربة الروم، وإذا هاجموهم ، وقد كانت هذه العواصم من المدن العسكرية الهامة ، وهى تمثل خط الدفاع الثانى وكان بمثابة بوابات لإغلاق الحدود تماما فى المواضع الاستراتيجية .

وفى عصر المعتصم عملت الدولة على تثبيت المكاسب و الاستعانة فى تجريد الموقف بإتمام إقامة الثغور والتحصينات لتتفيأ الدولة الاسلامية [١] ظل الدعة والسلام ، ويدخل العالم فى ظل سلام مبسوط الرواق ، فتكاملت حلقات الثغور على أطراف آسيا الصغرى ، وشحنت هذه الثغور بالمرابطين و المقاتلة وأدت دورها كاملا فى تحصين الحدود و الدفاع عن الدولة و دفع جميع الأخطار.[٢]

وإذا كانت سياسة تأمين الحدود مع البيزنطنين قد شغلت الجانب الاعظم و الاكبر من اهتمام العباسين بتخوم أراضيهم فى آسيا الوسطى وجنوب شرق اسيا ، فقد بدأوا يوجهون إهتمامهم نحو الشرق فحافظوا على ميراث الاسلام فى وجه الاطماع الصينية وكى يحافظوا العباسيون على حدود دولتهم التى وصلوا اليها جهة الشرق بسطوا نفوذهم على بحار الهند ، وشددوا قبضتهم على الموانى الغربية الهامة .[٣]

ثانيا - عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) :

توفى الخليفة المأمون دون أن يقضى على الثورة الخرمية بقيادة بابك الخرمى ، وكان الامبراطور تيوفيل قد سبق أن استغل حركة بابك للانتقام من المأمون الذى ساعد توماس فى ثورته ضد الأمبراطورية البيزنطية ، وجاء المعتصم ليتولى الخلافة و حركة بابك تفعل الأفاعيل فى فى جسم الدولة العباسية ، فخسر المعتصم قواه العسكرية للقضاءعلى هذه الحركة ، وبالطبع فقد اضطر إلى أن يوقف أعمال الغزو ضد الروم على النحو الذى كان سائدا فى زمن المأمون ، وأرسل الجيوش ، وقد تعاون الامبراطور

(١) الطبرى - تاريخ الطبرى ج /٨، ١٠ فترة خلافة المعتصم دار المعارف .

(٢) فصلت كتب المصادر ـ الطبرى / ابن الاثير . تفاصيل هذا الموضوع

(٣) فصلت كتب المصادر: (الطبرى / ابن الاثير تفاصيل هذا الموضوع .

البيزنطى مع حركة بابك لأن الاخير قد أدعى المسيحية - وهنا يجب أن نتذكر أن تيوفيل ما كان ليلقى بثقله فى معارك ضد العباسيين من أجل معاونة بابك فقط ، بل أن هذا الخط دائم السير فى علاقة القوتين الأعظم فى ذلك الوقت لتبادل اتخاذ قرار المبادأة بالهجوم مع اختلاف الأسباب على الجانبين الإسالمى والبيزنطى وأن تتوفيل أيضا ما كان ليدخل فى معارك ضد العباسيين لولا أنه فرغ لقوة من حرب صقلية التى انتصر فيها إنتصارا مؤقتا (١) .

وقد ضم جيش تيوفيل فى غزوه لبلاد الإسلام ملوك برجان والبر غر والصقالية (٢) .

وزحف تيوفيل فى غزوته هذه إلى أعالى الفرات ليفتح الطريق فيما يظهر بينه وبين بابك للاتصال به ، ولم ينس أن يرسل إلى أمراء أرمينية يطالبهم بالأتاوة ثم هاجم حصن زبطره ، وحرق وقتل كل من فيها حتى المسيحيين فى فظاعة ووحشية بالغة ولم تلق ملطية نفس مصير زبطرة لأنها فتحت أبوابها وأطلقت أسرى الروم منها (٣) .

وقد أرسل المعتصم نجدة لأهل زبطرة بقيادة عجيف بن عنبسة ، ورغم أنها استطاعت أن ترد بعض الهاربين لأصلها إلا أن البيزنطيين قد مزقوها لقلة عددها حتى تجهز المعتصم بالحملة الكبرى على الروم بجهاز لم يتجهز مثله قط خليفة (٤) .

ثالثا - ذكر فتح عمورية ٢٢٣ هـ :

ونتناول بالدراسة الفنية العسكرية معركة عمورية ، والتى وقعت بين جيوش الدولة العباسية التى قادها المعتصم بالله بنفسه وبين جيوش الروم المحتشدة فى ضواحى عمورية .

---

(١) شاكر مصطفى - دولة بنى العباس ج / ٢ / ٥٦٠ الكويت ١٩٧٣ م .

(٢) المسعودى - مروج الذهب - ج / ٣ / ٣٧٢ - بيروت ١٩٨٢ .

(٣) فاز يليف - العرب والروم ص ٢٥ / القاهرة ١٩٥٤ .

(٤) الطبرى - تاريخ الطبرى ج / ٦ فن ص ٥٥ - ٧٠ وما بعدها ط دار المعارف .

أولا : نظم التعبئة : وهى التدابير التحضيرية للقتال الهجومى .

التعبئة مصطلح عسكرى ، أطلقه المؤرخون القدامى من العرب على تنظيم الجيوش ووصف الكتائب فى المعركة أو قبلها فتعبير (عبأ) عندهم مساوٍ لتعبير نظم أما كلمة التعبئة فى الإصلاح العسكرى الحديث فمعناها حصر كل القوى الموجودة فى الدولة وقت الحرب ، وعمل مقارنة بين الجيش المقاتل وكافة المواد اللازمة له ، سواء كانت تموينية أو غيرها إستعدادا للقتال ، وتوفيرا لكافة مستلزماته وذلك بعد الكفايات وتوجيه كل إلى الناحية الخاصة به بحيث لا ينقص الجيش المحارب شئ .

ونحن بصدد دراسة حشد القوات العباسية وكل ما يلزمها للقتال سواء أكان ذلك قبل المعركة أم خلالها ، لأن دخول المعركة قد يبدأ قبل المعركة بوقت طويل وهذا الفن كما عرفه العسكريون يمر بمرحلتين :

الأول : مرحلة ما قبل المعركة وهى التدابير التحضيرية القتال الهجومى ويطلق عليه فى الاصطلاح العسكرى كلمة الاستراتيچية .

الثانية : وهى مرحلة الاشتباك الفعلى مع العدو ، ويظهر فيها فن تحريك القوات ، والتنسيق بينها خلال المعركة وطريقة تنظيمها فى حالتى الهجوم والدفاع ويطلق على هذه المرحلة مصطلح التكتيكية [1] .

التدابير التى اتخذها المعتصم والقواد فى الفترة التحضيرية التى سبقت اشتباكهم مع العدو .

لما خرج ملك الروم وفعل فى بلاد الإسلام ما فعل ، بلغ الخبر المعتصم فلما بلغه ذلك استعظم ، وكبر لديه ، وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهى أسيرة فى أيدى الروم : وامعتصماه (فأجابها وهو جالس على سريره : لبيك لبيك) ونهض من ساعته . وصاح فى قصره النفير .. النفير ، ثم ركب دابته ، وسمط خلفه شكالا (مكتال) وسكة حديد وحقيبة بها زادة فلم يمكنه السير إلا بعد التعبئة ، وجمع العساكر ، فجلس

---

(١) العقيد محمد فرج - المدرسة العسكرية الإسلامية ص ٢٢٧ دار الفكر العربى .

في دار العامة وأحضر قاضي بغداد ومعه ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلا من أهل العدالة فأشهدهم على ما وقف من الضياع ، فجعل ثلثا لولده ، وثلثا لله تعالى وثلثا لمواليه [1] .

ووضع الخليفة وصيته في ممتلكاته ، ووجه بعض القواد إلى زبطرة : عجيف بن عنبسة « وعمرو الغوفي » ومحمد بن كوته (فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده) فوقفوا قليلا حتى تراجع الناس إلى قراهم واطمأنوا . فلما ظفر المعتصم ببابك قال :

أي بلاد الروم أمنع وأحصن فقيل عمورية ، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام وهي عين النصرانية .. [2] .

دخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم فاستشاره بشعره :

ياغارة الله قد عانيت فانتهكي	هتك النساء وما منهن يرتكب
هب الرجال على أجرامها قتلت	ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

السير إلى القتال :

تعمم المعتصم بعمامة الغزاة وخرج في جمادى الأول سنة ٢٢٣ هـ ابريل ٨٣٣ م ونودي في الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين ، وجعل على مقدمته أشناس التركي ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميمنته أتباخ ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف بن عنبسة وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل الناس من سائر الدروب فلم يكن يحصي الناس العدد ولا يضبطون كثرة فمن مكثر ومقلل ، فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقلل مائتى ألف) [3] .

---

(١) ابن الأثير - في التاريخ ج / ٦ / ٤٧٩ - دار صادر بيروت .

(٢) الطبري - تاريخ الطبري ج / ٩ / ٥٧ - ٦٠ / ط دار المعارف .

(٣) الطبري - تاريخ الطبري ج / ٩ / ٥٧ وما بعدها ط دار المعارف .

وأقام المعتصم على نهر آللامس ، وهو على سلوقية قريبا من البحر بينه وبين طوسوس مسيرة يوم وعليه يكون الفداء فذكرانه تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط من السلاح والعدد والآلة وحياض الآدم والبغال والزوايا والقرب وآلة الحديد والنفط [1] ونقش المعتصم على الألوية والتروس عمورية .

كان الجند عند تحركهم ينظمون كما لو كانوا على وشك خوض المعركة ، وذلك ليأخذوا حذرهم وحيطتهم ، وليكونوا مستعدين لرد أي هجوم جانبي أو خلفي يقوم به العدو ، وقسمت الجيوش إلى ميمنة وميسرة وقلب ومقدمة وساقة ، ويحافظ على هذا التنظيم عند النزول وإلا ناخة في أي مكان .

ووزع المعتصم قواته فأمضى الافشين إلى سروج ليدخل من درب الحدث وأمر أشناس أن يدخل من درب طرسوس إلى الصفصاف ، وحدد لهم المواعيد ليلتقي القائدان بقواتهما مع قوات الخليفة عند أنقرة ليفتحوها ثم أرسل المعتصم إلى أشناس وهو بمرج الأسقف أن جيش الأمبراطور بين يديه وأن عليه انتظار الساقة لأن فيها الأثقال المجانيق والزاد وغير ذلك ، وكان ذلك بعد مضيق الدرب [2] .

هكذا اختار المعتصم مكانا للتجمع ، وهذا يدل على حاسة استراتيجية عظيمة وخبرة فائقة بهذا الفن حيث استطاع المعتصم أن يعرف أنسب المواقع لإقامة المعسكرات التي تكفل له سرعة توجيه قواته إلى أي جهة ينبعث منها الخطر .

بعث العيون وأعمال التجسس :

وقد كلف المعتصم أشناس بالاستفادة من الوقت في إرسال سرية استطلاعية تأسر بعض الروم للاستعلام منهم عن خبر أمبراطورهم ، وكان هذا قد علم بقصد المسلمين أنقرة وعمورية فغادر عاصمته صوب الحدود ومعه تيوفويوس الفارسي وماتويل اللاجئ الرومي العائد ، وأخذ يدبر تحصين عمورية وشحنها مخالفا بذلك نصيحة بإخلائها ، وقد عهد بذلك إلى ياطس ، قائد البند الأناضولي مقره عمورية ، وكانت خطة الامبراطور أن يهاجم قوات عدوه شمالا إلى أنقره .

---

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج / ٦ / ٤٨٠ الطبعة السابقة .

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج / ٦ / ٤٨٠ .

ولما لم يكن الأمبراطور يعلم شيئا عن تحرك الأفشين من الثغور الجزرية فإنه قد عبر نهر الهليس ، مقدرا أن عدوه سيجتاز الأبواب القليقية إلى أنقره عن طريق أقصر الطرق من سوس Soandos إلى بارناسوس Patnassos ثم يتابع مجرى النهر فعزم على أن ينقض على جناحه . ثم علم الامبراطور بمسير جيش الأفشين من ناحية بند الأرمنياق فكان لابد أن يقسم قواته ، فأخذ معظم جيشه وسار لمواجهة الأفشين بينما خلف أحد أقربائه لمنع تقدم الخليفة . وكان الأفشين قد اجتاز فى هذه الاثناء سبسطية ووصل إقليم Dazimon حيث التقى بقوات الأمبراطور ، وتتحكم هذه البقعة (توكات الحديثة) فى الطريق الكبير الذى يسير من القسطنطينية إلى سيسطية فى نقطة يجتازها طريق آخر شمالا Neocoesaraa وعسكر الأفشين بجنده قرب طرخال Trkhal على نهر إيريس ويبدو أنه قد انضم إليهم جند أرمن مع أمير ملطية عمر بن عبيد الله بن مروان الأقطع السلمى بينما كان الترك أكثر فى جند أشناس [١] .

وأتت السرية الاستطلاعية التى أرسلها أشناس بقيادة عمرو الفرغانى بأخبار نوزيع الملك قواته بعد أن واجهت بعض المخاطر ، إذ أن القائد البيزنطى فى منطقة (حصن قره) فى بند كياد وكيا (القباذق) قد تنبه للخطر - وقد قدم الطبرى تفصيلا عن نشاط هذه الحملة الاستطلاعية [٢] .

بينما ذكر ابن الأثير أن هذه السرية قد أخذت عددا ممن كانوا فى عسكر الملك فصاروا إلى أشناس فى (اللمس) فسألهم عن الخبر ، فأخبروه أن الملك مقيم منذ أكثر من ثلاثين يوما ينتظر عبور المعتصم ومقدمته باللمس فيواقعهم من وراء اللمس ، وإنه قد جاءه الخبر قريبا أنه قد رحل من ناحية الأرمنيياق عسكر ضخم وتوسط البلاد - يعنى عسكر الأفشين - وأنه قد صار خلفه ، فأمر الملك رجلا من أهل بيته ابن خاله فاستخلفه على عسكره . وخرج ملك الروم فى طائفة من عسكره ، يريد ناحية الأفشين ،

---

(١) الطبرى ج / ٩ / ٥٥ - ٦٠ - ط دار المعارف .

(٢) الطبرى ج / ٩ / ٥٥ - ٦٠ ط دار المعارف .

فوجه اشناس بذلك الرجل الذى أخبره بهذا الخبر إلى المعتصم ، فأخبره الخبر ، فوجه المعتصم من عسكره قوم من الأدلاء وضمن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم على أن يوافوا بكتاب الأفشين وأعلمه فيه أن أمير المؤمنين مقيم إشفاقا من أن يواقعه ملك الروم . وكتب إلى أشناس كتابا يأمره بأن يوجه من قبله رسولا من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق المشبهة بالروم ، وضمن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم إن هو أوصل الكتاب [1] .

ومن المعروف فى النظم العسكرية أن أعمال التجسس لازمة لكل جيش سواء أكان ذلك فى مرحلة التنظيم الاستراتيجية (مرحلة ما قبل الحرب) أم فى مرحلة التنظيم التكتيكى (قيام الحرب) ، لأن القيادة الناجحة هى التى تدرس ظروف المعركة قبل أن تخوضها لتضع خطة محكمة تكفل لها النصر ، وهذه الخطة لا توضع وضعاً ارتجاليا وإنما توضع على أسس مدروسة ، ومعلومات صحيحة عن عدد العدو ، ونوع سلاحه وأسلوبه فى القتال ، وكذلك معرفة طبيعة الأرض التى سيلتقى فوقها مع عدوه ، هل هى مستوية أم صحراوية أو جبلية أو زراعية ، وهل هى بها أنهار ، هذه المعلومات يقوم بجمعها الجواسيس وهذا ما قام المعتصم به قبل المعركة .

المعركة الهجومية وسير القتال - معركة أنقرة .

الرسل التى أرسلها المعتصم لم تلحق الأفشين كما يقول ابن الأثير ، وذلك أنه كان فعل فى بلاد الروم ، وتوافت آلات المعتصم وأثقاله مع صاحب الساقة إلى المعسكر فكتب إلى أشناس يأمره بالتقدم ، وتقدم أشناس والمعتصم من ورائه ، بينهم مرحلة ينزل هذا ويرحل هذا ، ولم يرد عليهم من الأفشين خبر حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل ، وضاق عسكر المعتصم ضيقاً شديداً من الماء والعلف ، ودل أحد الأسرى أشناس على موضع يتمون منه جنوده ودوابهم ، وكان قد هرب إلى هذا الموضع بعض جند الروم الجرحى فعلم المسلمون منهم بانتصار الأفشين فى المعركة التى

---

(١) ابن الأثير - الكامل ج / ٦ / ٤٨٠ - ط بيروت ١٩٧٩ .

دارت فى ٢٥ شعبان سنة ٢٢٣ هـ ضد جيش الأمبراطور الذى فر من الميدان إلى خليداكون بعد أن كان الجيش البيزنطى [١] متفوقا أول الامر ـ ويبدو وأنه قد حدث تمرد بين الفرس فى جيش الامبراطور . ويروى الطبرى نبأ الواقعة التى انتصر فيها الافشين نقلا عن شهود العيان من جرحى الروم فيقول (فأخبروهم أن الملك كان معسكرا على بعد أربعة فراسخ من اللمس حتى جاءه رسول يقول إن عسكرا ضخما قد دخل من ناحية الأرمنياق ، فاستخلف على عسكره رجلا من أهل بيته ، وأمره بالمقام فى موضعه فإن ورد عليه مقدمة ملك الروم واقعه ، إلى أن يذهب هو فيواقع العسكر الذى دخل الأرمنياق ـ يعنى عسكر الأفشين ، فقال فواقعناهم صلاة الغداء . فهزمناهم وقتلنا رجالتهم كلهم وتقطعت عساكرنا فى طلبهم ، فلما كان الظهر رجع فرسانهم ، فقاتلوا قتالا شديدا حتى مزقوا عسكرنا ، واختلطوا بنا ، فلم ندر فى أى كردوس الملك فلم نزل كذلك إلى وقت العصر ، ثم رجعنا إلى موضع عسكر الملك الذى كنا فيه فلم نصادفه . فرجعنا إلى موضع عسكر الملك الذى خلفه على اللمس فوجدنا العسكر قد انتفض وانصرف الناس عن الرجل قرابة الملك الذى كان الملك استخلفه على العسكر ، فأقمنا على ذلك ليلتنا . فلما كان الغد ، وافانا الملك فى جماعة يسيره فوجد عسكره قد احتل . وأخذ الذى استخلفه على العسكر فضرب عنقه وكتب إلى المدن والحصون ألا يأخذوا رجلا من عسكر الملك إلا ضربوه بالسياط ، ويرجع إلى موضع سماه لهم الملك إنحاز إليه ليجتمع إليه الناس ويعسكر به ليناهض ملك العرب ، ووجه خادما له خصيا إلى أنقره على أن يقيم بها ويحفظ أهلها إن نزل بها ملك العرب قال الأسير فجاء الخصى إلى أنقره وجئنا معه ، فإذا انقره قد عطلها أهلها وهربوا منها فكتب الخصى إلى ملك الروم يعلمه ذلك فكتب إليه الملك يأمره بالسير إلى عمورية [٢] .

(١) ابن الأثير – ج / ٦ / ٤٨١ – الطبعة السابقة .

(٢) الطبرى – تاريخ الطبرى ج / ٩ / ٥٩ – ٦٢ ط دار المعارف .

دور الطلائع فى المعركة :

لقد أدرك قادة الجيش العباسى دور الطلائع فى المعركة ، فكانوا إذا نزلوا بأرض العدو أن يقدموا بعض الفرسان طليعة لهم ليختبر أرض المعركة ويعرف مواقع العدو ويجمع المعلومات الهامة عنه ، ويضمن سلامة الطريق الذى سيسلكه جيش المسلمين من كمين معد لهم ، أو أى عائق يعوق تقدمه .

دور اختيار موقع المعركة :

إن المتبع لدراسة معركة أنقرة يجد أن حسن اختيار موقع هذه المعركة كان من الأسباب الرئيسية فى الظفر والانتصار ، علاوة على المفاجأة الاستراتيچية التى تقوم على إخفاء نية الهجوم واتباع أساليب الخداع فلقد انهزم الجيش العباسى فى أول الأمر وكان ذلك خداعا إلا إنه قد احتوى عسكر الروم بعد ذلك وأنزل بهم هزيمة قاسية جعلت الامبراطور الرومانى يفر من أرض المعركة .

معركة عمورية ٢٢٣ هـ :

كما كان جيش المعتصم جرارا ، ويتألف من فيالق عدة ، تحتوى على صنوف مختلفة ، لا مندوحة له عن استصحابها ، مما جعل عمق الجيش زائدا زيادة لا مبرر لها ولا شك أن هذا الجيش اللجب يتعسر عليه الدخول فى المعركة بجميع صفوفه فى الوقت اللازم ، مع أن النصر لا يتأتى إلا بتعاون هذه الصفوف جميعا .

وعلى هذا ، فقد أقام المعتصم بأنقره بعد هزيمة الروم ثلاثة أيام ثم جعل هذا الجيش اللجب ثلاثة جيوش .

١ - جيش أشناس فى الميسرة .

٢ - جيش المعتصم فى القلب .

٣ - جيش الأفشين فى الميمنة .

وجعل بين كل جيش وآخر فرسخين ، ثم أمر أن يكون لكل جيش من هذه الجيوش الثلاثة ميمنة وميسرة ، أى أن كل جيش مسئول عن حماية نفسه حماية محلية ، وأمن الارتباط بين كل جيش ، وهكذا ساروا من أنقره حتى بلغوا عمورية [١] .

---

(١) الطبرى - تاريخ الطبرى ج / ٩ / ٦٣ - ٦٤ ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ٦ / ٤٨١ .

وكان أول من وردها أشناس ، ثم المعتصم ثم الأفشين فدار حولها وقسمها بين القواد ، وجعل لكل واحد منهم أبراجا منها على قدر صاحب وبدأ الحصار ، في رمضان سنة ٢٢٣ هـ .

وكان رجل من المسلمين قد أسرة الروم بعمورية فتنصر ، فلما رأى المسلمين خرج إليهم ، فأخبر المعتصم أن موضعا من المدينة وقع سوره من سيل أتاه فكتب ملك الروم إلى عامل عمورية ليعمره ، فتوانى ، فلما خرج الملك من القسطنطينية خاف العامل أن يرى السور خرابا فبنى وجهه حجرا حجرا ، وعمل الشرف على جسر خشبي ، فرأى المعتصم ذلك المكان ، فأمر بضرب خيمته هناك ونصب المجانيق على ذلك الموضع فانفرج السور من ذلك الموضع . فلما رأى الروم ذلك جعلوا عليه خشبا كبارا كل عود يلزق الآخر ، وكان المنجنيق يكسر الخشب ، فجعلوا عليه براذع ، فلما ألحت المنجنيق على ذلك الموضع تصدع السور ، وكتب الخصي وبطريق عمورية واسمه ناطس كتابا إلى ملك الروم يعلمه أمر السور وسيرة مع رجلين فأخذهما المسلمون (١) .

ويذكر اليعقوبي أن تيوفيل أوفد رسولا يطلب الصلح في أول ما نزل المعتصم عمورية ، ويقول إن الذين فعلوا بزبطره ما فعلوا تعدو أمرى ، وأنا أبنيها بمالي ورجالي وأرد من أخذ من أهلها وأخلى جملة من في بلد الروم الأسارى ، وأبعث إليك بالقوم الذين فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة (٢) .

ورفض الخليفة الصلح ، ولم يأذن لرسول الروم في العودة حتى أنجز فتح عمورية وكانت عمورية موطن الأسرة البيزنطية قد استعدت لمواجهة الحصار قد عمت الأسوار وحفرت الخنادق ، وتراجع الامبراطور إلى درولية يتابع أنباء المعركة ، وابتدأت المناوشات بتبادل قذف الأحجار و السهام ، فقتل كثيرون واستمر الحصار وأمر المعتصم أن تكون الحراسة نوائب في كل ليلة يحضرها الفرسان يبقون على دوابهم بالسلاح وهم

---

(١) ابن الأثير - الكامل ج / ٦ / ٤٨١ .

(٢) اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي ج / ٢ / ٤٧٦ دار صادر بيروت ١٣٧٩ هـ سنة ١٩٦٠ م .

وقوف عليها ، لئلا يفتح الباب ليلا فيخرج من عمورية إنسان ، فلم يزالوا كذلك حتى انهدم السور ما بين برجين فى ذلك الموضع وكان المعتصم قد أمر أن يطم خندق عمورية بجلود الغنم المملوءة ترابا فطموه ، وعملوا دبابات كبارا تسع كل دبابة عشرة ليدحرجوها على الجلود إلى السور ، فدحرجوا واحدة منها ، فلما صارت فى نصف الخندق تعلقت بتلك الجلود ، فما تخلص من فيها إلا بعد شدة وجهد ، وعمل سلاليم ومنجنيقات .

فلما كان الغد من يوم انهدم السور قاتلهم على الثلمة ، فكان أول من بدأ الحرب أشناس وأصحابه ، وكان الموضع ضيقا ، فلم يمكنهم الحرب فيه فأمدهم المعتصم بالمنجنيقات التى حول السور ، فجمع بعضها إلى بعض حول الثلمة وأمر أن يرمى ذلك الموضع .

وكانت الحروب فى اليوم الثانى على الأفشين وأصحابه ، وأجادوا الحرب ، وتقدموا والمعتصم على دبابة بازاء الثلمه وأشناس والأفشين وخواص القادة معه . وفى اليوم الثالث كانت النوبة على جند الخليفة ومعهم المغاربة والأتراك والقيم بذلك يتاح فقاتلوا فأحسنوا واتسع لهم الموضع (١) .

وجاء وفد ليفاوض الخليفة ، وطلب الخليفة استسلاما بلا قيد ولا شرط فعاد الوفد أدراجه . والواقع أن مصير عمورية كان محتوما بعد تهدم سورها ودخل العرب عمورية فى ١٧ رمضان . وكان آخر قتال فى كنيسة كبيرة فى زاوية عمورية فأحرقها المسلمون ، وحاول ياطس أن يتخفى ليجد سبيلا للفرار ، ولكن صعد المسلمون البرج فأسروا ياطس وغيره مثل تيودور الخصى ، فأمر المعتصم (يسيل) الترجمان أن يميز الأسرى فيعزل منهم أهل الشرف من الروم ، وإذن لرسول الأمبراطور بالعودة . وهناك روايات تزعم أن خائن عمورية قد اعتنق الإسلام وسعى فى تخذيل قومه من أسرى الروم ليسلموا مثله ولكنهم أبو فقتلوا) (٢) .

---

(١) ابن الأثير - الكامل ح / ٦ / ٤٨٢ .

(٢) المصدر السابق - ابن الأثير . ح / ٦ / ٤٨١ .

وأدت البنود البيزنطية دورها فى حماية الدولة ضد الهجوم الإسلامى ، فقامت منطقة حدود كبادوكيا بمواجهة السرية الاستطلاعية واحتمى الأمبراطور البيزنطى بندالابسيق حيث تقهقهر إلى درولیه بعد تقدم الجيش الإسلامى نحو عمورية ، وكان يريد أن تقوم أنقره وعمورية بدوريهما فى مواجهة القوات الزاحفة ، وعلى هذا النحو تستهلك البنود البيزنطية على التوالى طاقة الجيوش المهاجمة وتتعاون على النيل منها فى أكثر من ميدان حتى لا تخلص إلى القسطنطينية (١) إذا قصدت ذلك ، إلا وهى منهكة غاية الإنهاك . وهكذا وقفت البنود البيزنطية بآسيا الصغرى خطا دفاعيا مرناً منيعا ضد التقدم الإسلامى ، تصمد له حينا وتنثنى أمامه حينا لينصرف فى الوقت المناسب إلى الوراء ، أو يتراجع الخط الدفاعى بانتظام لإجهاد المسلمين واستنفاد قواهم .

وفى طريق العودة بلغ المعتصم أن الأمبراطور البيزنطى يريد الخروج فى أثره أو يريد التعبث بالعسكر ، فمضى فى طريق الجاده مرحلة ثم رجع إلى عمورية وأمر الناس بالرجوع ورجل المعتصم يريد الثغر حتى دخل طرسوس . وكان قد نصب له الحياض من الأوم حول المعسكر من الماء إلى العسكر بعمورية ..) .

وهكذا كانت نهاية هذه الغزوة التى استغرقت خمسة وخمسين يوما وقد هدمت أسوار عمورية وأبوابها ، وأمر المعتصم بترميم زبطرة وتحصينها وإقامة حصون أخرى حولها .

النتائج :

نلاحظ أن العباسيين قد اتبعوا نظام الكراديس (الكتلة أو الكتيبة) وقد شرح ابن خلدون خلاصة هذا النظام وفوائده فقال (إن الدولة الكثيرة الجنود ، المتسعة الممالك ، كانوا يقسمون العساكر أقساما يسمونها كراديس ، ويسدون فى كل كردوس صفوفه ، وسبب ذلك أنه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحى

---

(١) فتحى عثمان - الحدود الإسلامية البيزنطية دار الكتاب العربى ١٣٨٦ هـ سنة ١٩٦٦ م .

استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضا إذا اختلطوا فى مجال الحروب ، فيخشى من تداخلهم فيما بينهم لجهل بعضهم بعضا ، فلذلك كانوا يقسمون العساكر إلى جموع ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض ، ثم يرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعى فى الجهات الأربع : رئيس العساكر كل من سلطان أو قائد فى القلب ، يحيط به أربعة جيوش مستقلة بقوادها جيش فى اليمين ، ويسمى الميمنة وآخر فى الشمال يسمى الميسرة ثم عسكرا آخر من وراء العسكر يسمى الساقة (١) .

ويمكن اجمال مزايا نظام الكراديس فى النقاط الآتية :

العمل على تجانس الجنود وحشدهم فى مجموعات متعارفة حتى لا يجهل بعضهم بعضا .

سهولة ومرونة تشكيل القوات وتحركاتها إبان المعركة وتغير موضع كل منها حسب ظروف المعركة وأوامر القائد الأعلى .

يمكن بهذا النظام تشكيل الجيوش ذات العدد القليل ليمكنها مواجهة الجيوش ذات الأعداد الكثيرة وذلك بتشكيل معين يخالف تشاكيل العدو ، فيحقق عنصر المفاجأة العسكرية .

نظام الكراديس يدعم فرق الجيش بعضها بعضا ويعطى فرص سانحة لقوى الفرسان أن تباشر عملها حيث أنه يكون بين جناحى الميمنة والميسرة طريقان لمرور الخيل ولمرور أصحاب المبارزة فيكون بين الصفوف فرصة عند صاحب الميمنة ، وفرصة عند صاحب الميسرة وفرصة عند صاحب القلب .

التزم العباسيون مع عدوهم فى موقعة أنقرة بنظام الجيوش المتعددة وبهذا النظام الخماسى فى ترتيب جنودهم .

---

(١) ابن خلدون – المقدمة ص ٣٠٣ بولاق – القاهرة ١٣٤٨ هـ سنة ١٩٣٠ م المبتدأ والخبر ط دار الكتب المصرية ١٩٣٦ م سنة ١٢٨٤ هـ .

كانت إدارة المعركة عمورية فيه تعاون بين الجيوش الثلاثة التى اشتركت فى حصار عمورية .

ويمكن أن نقدم وصفا شاملا لتعاون صفوف المقاتلين علّى اختلاف أنواعها فى المعركة يكمل بعضها البعض فى تلاحم وتعاون عجيب ، فكان المعتصم فى القلب علي مكان مرتفع يلقى الأوامر ويراقب سير المعركة ، ويصلح الأخطاء التى يراها . أما عن إلغاء الأوامر من القائد الأعلى إلى قادة الجيوش المختلفة فكانت تستعمل كل الطرق لتوصيل أوامره إلى قواعد الفرق ، وطوال المعركة كانت الرسل لا تفتر بين القائد الأعلى وقواعد فرقه ليوصلوا أوامره إليهم . إما شفوية أو مكتوبة .

كان للخيالة دور كبير فى عمليات الاستطلاع التى سبقت المعركة ، وهى التى قامت باستكشاف مواقع العدو ، ولم يكن للأسطول الإسلامى دور فى هذه المعركة ولكننا نظن أنه كان له نشاط ملحوظ فى حراسة الشواطئ الإسلامية أثناء الهجوم .

أما عن حشد الجيوش ، فقد كان مميزا بحشود ضخمة مصحوبة بروح عالية على درجة كبيرة من الاستعداد للقتال مدربة أعظم دربة على القتال ، وكانت الروح القتالية عالية حتى فى حالة نقص الإعاشة من الماء وعلف الدواب .

كانت القيادة على مستوى عال فى المعركة سواء كانت القيادة العامة أو قيادة الفرق المختلفة ، فلولا صبر جيش الأفشين فى بداية معركة أنقرة ورباطة جاشه ثم إشاعة تلك الروح فى رجاله لا نهزم جيشه ، علاوة على وضع الجنود فى مكانهم اللائق ليقوم كل منهم بدوره المنوط به .

كان فى مقدمة العوامل التى ترتب عليها انتصار العباسين فى عمورية هى روح القتال العالية التى تمتعوا بها ، فروح القتال هى العامل الهام ، فالعدد والسلاح لا يقومان مقام الشجاعة والإقدام فى إحراز النصر ، وقد ظهر في خطة المعركة عنصر التمويه على العدو .

عنصر المطاردة - الحشد - المسير - الأسباب - القيادة الرشيدة - تمتع الجيوش بروح الفريق - جماعية القيادة - إقامة المجالس الحربية القائمة على التفاهم والتشاور ، ثم الالتزام بخطة الهجوم من عوامل النصر .

القدرة على توافر الكفاءة القتالية للجيوش العباسية ، ويقرر العلم العسكرى إن كفاءة الجيوش تقوم على خمس دعائم ، المقاتل الكفء - السلاح القوى - الانضباط - الروح المعنوية (العقيدة العسكرية) روح الفريق (١) .

والمتأمل فى هذه الدعائم يجدها متوافرة فى الجيش العباسى فى معركة أنقرة وعمورية ، وكان الأتراك أمثلة رائعة فى الشجاعة والخشونة والحزم والطاعة والانضباط والولاء ، وذلك قبل أن يغرقوا فى النعيم ومتع الحياة .

إنه رغم الانتصار الكبير الذى تحقق ومحاولة المعتصم الاتجاه إلى فتح القسطنطينية كالمشروع الذى كان يعتزم المأمون تنفيذه ، ولكن حالت المنية دون ذلك ثم تراجع المعتصم عن هذه الأسباب قد يكون من بينها اكتشاف مؤامرة للتخلص منه ومن أتراكه وتولية العباس بن المأمون ، أو كما يبرر ذلك المسعودى .. أو قد يكون لعدم استطاعته فتح القسطنطينية دون إسطول بحرى قوى (٢) .

وسواء هذا السبب أو ذاك إلا أن عدم استغلال هذا الانتصار الكبير ، وعدم تحويل المنطقة إلى جزء من الدولة العباسية وبقائها كجزء من أراضى الحدود والثغور يعتبر مثالا واضحا لا لبس فيه على أن العباسين طوال حكمهم ورغم استطاعتهم تحقيق إنتصارات ضخمة على عدوهم التقليدى ، أبقوا على الحدود بينهم وبين الدولة البيزنطية كما هى على عكس ما كان يحدث أيام الأمويين من توسيع الرقعة الدولة والمجتمع الإسلامى وليس أدل على ذلك أن المعتصم كان قد استهل عهده بما يدل على انصرافه عن هذه الوجهة إذ أوقف سنة ٢١٨ هـ بناء حصن الطوانه الذى كان قد شرع فيه المأمون وأمر بهدم ما كان قد بنى ، وحمل ما كان من السلاح والآلة وغير ذلك مما قدر على حمله وأمر بصرف ما كان المأمون أسكن ذلك من الناس إلى بلادهم (٣) .

---

(١) لواء جمال الدين محفوظ المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ١٨٦ - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦ م .

(٢) شاكر مصطفى دولة بنى العباس ج / ٢ / ٥٦٩ .

(٣) الطبرى - تاريخ الطبرى ج / ٩٢٨ خلافة المعتصم .

ونستطيع على هذا الضوء أن ترى أن حملة عمورية حملة تأديبية قامت بقصد محدود وغرض مؤقت .

كانت الهزائم المتواصلة التى منى بها تيوفيل على أثر هزيمة عمورية وأنقره وسقوط جزيرة أقريطش وصقلية فى أيدى المسلمين أن تحول الخط الذى يربط بين الدولتين البيزنطية والعباسية إلى خطوط أخرى متفرعة ، وقد انتهى الأمر بأن عقد تيوفيل مع المعتصم هدنة استمرت حتى وفاة الاثنين معا فى سنة ٢٢٧ هـ [١] .

أن حملة عمورية بعد حملة الرشيد ضد نقفور تعتبر أشد وآخر الحملات التى قام بها العباسيون فى شكل واسع ضد بيزنطية ، ومن ثم عادت العلاقات الحربية بينهما على شكل غارات مرة أخرى ، وهكذا يبدو منها أنه رغم طموح الدولة العباسية المحدود تجاه بيزنطية ، إلا أنها عندما تحس فى نفسها القوة فهى لا تتوانى عن شن حملات قوية ومدمرة لإرهاب عدوها التقليدى [٢] .

وكان أمثال هذه الغارات تدرب الجند وتعود بأسلاب كبيرة .

والناظر إلى وضع الثغور فى المنظور الإسلامى التاريخى يجد أنها تشكل حزاما دفاعيا لتأمين الحدود الإسلامية ، فقد استفاد المسلمون فى إقليم الثغور والعواصم من مناعة جبال طوروس من ناحية ومن ناحية طبيعية أرمنية الجبلية من ناحية أخرى ، فقد كانت الثغور الجزرية تستخدم لحماية الحدود الإسلامية ، بينما الثغور الشامية مهمتها الأساسية هى الهجوم على الدولة البيزنطية ذاتها .

وسياسة العباسيين فى هذا الصدد قد نجحت إلى حد كبير ، فقد استطاع الخلفاء العباسيون أن يجعلوا خط الحصون داخل أراضى الدولة البيزنطية نفسها ولم يكن ميدان الحروب والمعارك العباسية هو هذه الحصون فقط وما بينها ، وهكذا فإن العباسيين بسياستهم الحربية من صوائف وشواتى وبناء ثغور وعواصم قد نجحوا فى

---

(١) المصدر السابق ج / ٩ خلافة المعتصم .

(٢) عبد الجليل الراشد - العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس ١٤١ - ١٤٢ ط .

فرض احترامهم على الدولة البيزنطية وقد نجحوا أن ينتزعوا منها فى أحيان عديدة اعترافها بهذا الاحترام وتسليمها بالقوة العباسية فى ذلك الوقت ، ويبقى للثغور والعواصم كذلك نقل المزج بين الحضارتين الهلينسية والإسلامية ، وأن هذه المجتمعات الحدودية كان لها فضل وسبق فى أن يجنى العالم بعد ذلك ثمار عمليات الامتزاج الحضارى فى خلاصة لم يعرفها العالم من قبل .

والأمثلة كثيرة على أن مسرح الثغور والعواصم قد شهد تفاعلا كاملا فى كل الميادين بين الحضارتين الإسلامية والبيزنطية وخاصة فى العهد الأموى العباسى .

وهى نقطة يجب أن تحسب لهذه المناطق الثغرية بجانب أهميتها القصوى فى الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية خاصة فى العهد العباسى ضد أطماع الدولة البيزنطية .

ثمة أمر هام لا يجب أن ننساه فى غمرة أحداث هذه الحملة المظفرة وهى وإن كان لها دوى كبير فى أرجاء الامبراطورية البيزنطية إلا أن لها نفس الدوى فى الدولة العباسية ذاتها فقد لمع فيها الجيش العباسى وارتفعت معنوياته ورأينا قادة أخذوا يتأهبون ليقتسموا المجد ، وكان معظمهم إن لم يكن كلهم من الأتراك الأمر الذى كان فاتحة تسربهم إلى مراكز القوة فى الدولة ، حتى بلغ بهم الأمر التآمر على إزاحة الخليفة العباسى المعتصم كحركة الأفشين . وهكذا كان الصراع الإسلامى البيزنطى مرة أخرى مؤثرا وبشدة على مجريات الأمور الداخلية التى ستبلغ فيما بعد على يد هؤلاء الأتراك مبلغا كبيرا ، وهكذا اصطدم المعتصم بقواته فى حملات الثغور وغيرها وبرجال دولته .

وهكذا فإن عهد المعتصم قد شهد حدة الصراع العباسى البيزنطى كما لم يشهده عهد عباسى من قبل ، وأثر فى الدولة البيزنطية تأثيرا لم يبلغه عهد الخليفة قبله ، على أننا نعجب بعد هذا التضامن الشديد أن نلمس صورة أخرى من صور استمرار السلم المصاحب للحرب بين الدولتين ، وهى تبلغ قمة دلالتها عندما نرى تلك المناظرة والمقارنة بين المسلمين والروم التى تمت فى بلاط المعتصم « عندما أرسل تيوفيل رسالة فى أعقاب انتصار المسلمين فى عمورية ، وكيف قورن بين نظم الخراج فى الدولتين وصناعة الناس فيها وأيهما أفيد وأهم » (١) .

---

(١) المقدسى - أحسن التقاسيم ص ٦٤ ط .